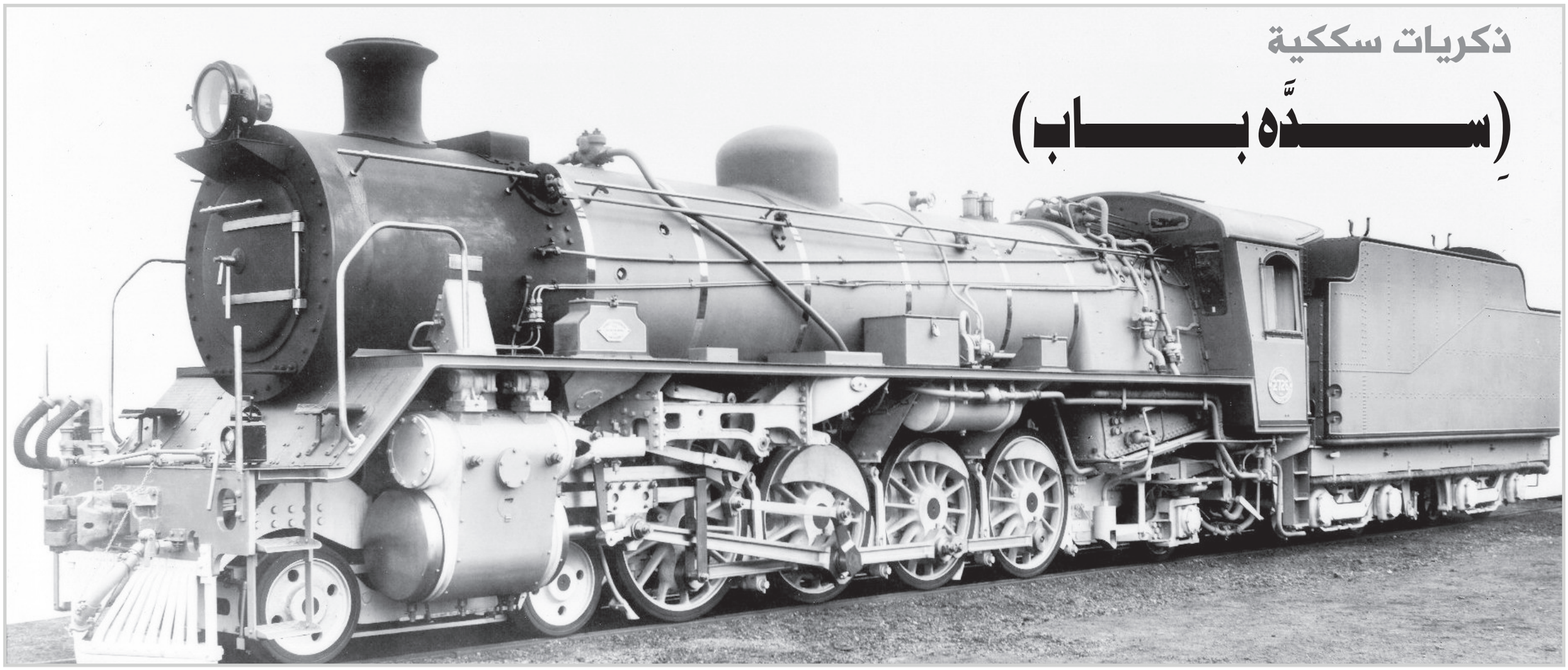

ذكريات سككية

(سـدّه بـاب)

جودت جالي

كان ياما كان في سكك أيام زمان ضبط وربط. كان الموظف أو العامل يعد التزامه بتنفيذ تعليمات العمل بحذافيرها كرامة شخصية، واقتداء بآباء السكك المؤسسين من انجليز وهنود تتلمذ على أيديهم عمال معظمهم لا يعرف القراءة والكتابة ولكن كان بإمكان أحدهم أن (يخلق) لك ما تشاء على المخرطة.. من صوتها وهي تعمل يحس بالقياس أذا كان مضبوطا أم لا ولو كان الفرق لا يرى بالعين المجردة، وبلمسة حانية لعتلة التغذية يصححه، وبلمسة حاذقة أخرى وهو يحتضن بالفرجال القطعة التي تدور مستسلمة لقلم القطع تنتقل الاهتزازات السرية خلال أنامله الى دماغه النابه كأنها لغة لا يفهمها غيره وقد يهز رأسه قائلاً: (مضبوط!) كأنه يجيبها، ينظفها ويزيتها يوميا كأنها ابنته الحديدية، ويجن جنونه أذا أقترب منها واحد من الفتيان (المستجدين) خريجي المعهد كأنه يغار عليها ويخشى أن يمس شرفها بسوء. في الحقيقة أنهم كانوا على حق وهم يرون أن الكثيرين من هؤلاء ليسوا أهلا (لهن)، وبرغم أن هذا الفتى قد درس على أحدث أدوات القياس يحدث أن يخطئ أخطاءً شنيعة، وفيما يراقبه العامل العجوز (الشقندحي) مستعليا عليه وعلى أدواته الدقيقة يكافئه بـ(زيج كرخي محترم) يجعله يترنح ارتباكا وخجلا، ويزيده بعبارة مثل (دروح بابه دروح.. عدل تواليتك!) أو يقول (...عدل بكلتك!) بضم الباء والكاف وتسكين اللام، ويعني (عدل تسريحة شعرك!).

لكن هذا التسفيه لم يكن يمر من دون انتقام، ولأن البراعة في عمل السوء ليست بحاجة الى ذكاء، بل الى القدر الكافي من الخبث كان أغبى طالب (مطبق) فيهم يبدو عبقريا في أبتكار المقالب، ولم يكن نادرا أن تتعالى الصيحات والسباب لأن عاملا ضعيف البصر وضع نعليه قربه وغفا غفوة على سجادة في فترة الاستراحة ثم أفاق ليمد يده الى نعليه فيراهما ينسحبان بعيدا ويمدها ثانية فينسحبان مبتعدين مرة أخرى ويكتشف بعد الزحف خلف النعلين أن أحدهم ربطهما بخيط وتوارى خلف ماكنة وأخذ يجرهما كلما مد المسكين يده، فينتصر له زملاؤه من العمال ويطاردون الجاني المستهتر، أو أن عاملا يصيبه الغثيان من مجرد النظر الى سمكة يجد (سنسول) سمكة معلقا بخيط على قبضة باب دولابه وهو أتى ليخرج طعام الغداء من الدولاب فتعاف نفسه الأكل ويستنزل اللعنات عليهم من دون استثناء، أو أن عاملا تذكره الباذنجانة بقضية مخجلة أو واقعة مزعجة فيجد عددا من الباذنجان شديد السواد موزعا على مخرطته ودولابه ومكان جلوسه، وربما طال العبث عمالا أنعزاليين مسالمين مثل (جبار العزاوي) الذي كان مغنياً في أحدى فرق المقام أبان العهد الملكي، لاهم له سوى النظر في المرآة بين الحين والآخر الى وجهه الذي يذكرك بصور ممثلي ومغني (أيام زمان) بشعره المصبوغ المسفوط، لا يكف عن تعديل ياقته مراراً وتكراراً والمسح على صدر بدلته وهو يغني بصوت منخفض (أمان... أمان...)، رف دولابه العلوي مليئ بأنواع الأمشاط والعطور ومستلزمات الزينة الأخرى، حسن الهندام دائما. يعمد أحد الفتيان قبل أن يصل جبار صباحا الى أمالة هذا الدولاب لتصبح جميع أدوات الزينة عند الباب ويضع جديدة أو حجر خلفه ليميل ميلاناً خفيفاً وعندما يفتح جبار الباب تتساقط وتتبعثر أو تتكسر، فتثور ثائرته ولاتبقى مفردة في قاموس (السوء) ألا وأرسلها أليهم.

لكن هذه (العبقريات) كلها تقف عاجزة أمام العقبة الكأداء، بوابة المعامل، وهذا الفريق الضال اللامنتمي من جيل الستينيات مدمن على التهرب من العمل، فما الحيلة والقائم على البوابة هو (شمعون) الذي لا ينفع معه تملق ولا غيره، وحيث لا يمكن لنملة أن تعبر من دون (گيت باص) اذن المرور من البوابة. كانت البوابة في عهدة مراقبين أرمن فهم مع لطفهم وأدبهم المشهود كانوا يتميزون بالتشدد في تنفيذ التعليمات. يمكنك أن تدخل ولكن أن تخرج فهذا دونه خرط القتاد وليس الحديد. ولقد شوهد شمعون طيب الله ثراه يوقف رئيس المهندسين جاء من دائرة أخرى الى مصلحة السكك لعمل ما ثم لما عاد بعد ساعة طالبه شمعون (بالكيت باص) فلما لم يبرزه له ألتفت شمعون نحو الشرطي موجها أمره الشهير بعربية مكسرة:

– سده باب!

ولم يتزحزح عن موقفه ما دفع رئيس المهندسين الى العودة الى مدير المعامل، الذي كان يسره طبعا تشدد شمعون، وجلب منه الأذن.

دخل مرة سائق عربة يجرها حمار جالبا مادة (النورة) الى ورشة السباكة التي لاتزال قائمة. عندما أفرغ الحمولة وعاد يسوق متهاديا نحو البوابة أوقفه شمعون وسأله عن الأذن فحار الرجل وتساءل:

– (گيت باص ماليش عمي)؟

عندها ألتفت شمعون نحو الشرطي وأصدر الأمر العتيد:

– سده باب!

ثم خاطب السائق قائلا بلهجة توبيخ:

– (گيت باص مالك ومال زمال!)

جهد الرجل المسكين في أن يخفي استغرابه وغضبه راسما على وجهه ملامح التوسل ما أستطاع:

– عمي قابل عدكم زمايل وتخاف بايك واحد؟

أشار شمعون بيده أشارة القضاء المبرم وقال:

– لايهجي هوايه بابه... كيت باص أنته وزمال!

وأسقط في يد السائق وحماره وتوجب عليهما أن يذهبا ليجلبا ورقة كتب فيها (يسمح بخروج فلان بن فلان مع عربته وحمار عدد واحد) موقعة ومطموغة. عندئذ فقط أمر شمعون الشرطي:

– أفتهه باب!

ووقف ينظر باعتداد الى السائق المذهول وحماره وهما يخرجان صاغرين.

كان هؤلاء الفتيان يراقبون مثل هذا المشهد عن قرب من خلف ساتر أو عن بعد وقد تحولت رؤوسهم الى علامات استفهام وكان عليهم أن يعقدوا على مستوى القاعدة اجتماعات سرية ليناقشوا إجراءات طوارئ وخطط بديلة للخروج، ولهذه قصة أخرى.

حكاية عربية

حلم يتحقق!

المدى

كان يا ما كان، كان هناك رجلٌ فقير يعيش في بغداد.. وفي ليلة من الليالي حلُمَ الرجل بأنه لو راح إلى القاهرة، فإنه سيُصبح غنياً جداً، وهكذا انطلق راحلاً إلى القاهرة.. ووصل هناك بعد هبوط الظلام، ولكونه متعباً آنذاك، ذهب لينام في مدخل أحد البيوت.

وقد ظن أهل البيت أنه حرامي فاستدعوا الشرطة الذين أخذوه ورموا به في السجن.

وبعد أيام قليلة، أحضروه أمام قاض.. فنظر إليه القاضي، ولاحظ أنه غريبٌ عن القاهرة، فسأله من أيِّ بلدٍ هو وما الذي أتى به إلى القاهرة.

فأجابه الرجل بأنه من بغداد وأنه قد جاء إلى القاهرة بسبب ما كان قد رآه في حلمه.

ضحكَ القاضي مِن القلب وأخبره بأن عليه أن يتعلم كيف يتجاهل أحلامه.. ثم قال له القاضي إنه كان قد حلُمَ ثلاث مرات بأن هناك كنزاً عظيماً مدفوناً تحت شجرة ملتوية خلفَ بئر في حديقة في بغداد.. لكنه كان رجلاً عاقلاً وقد تجاهل ذلك الحلم، وبعد أن قال هذا، أطلق سراح الرجل وطلب منه العودة إلى بغداد.

وقد أدرك الرجل أن القاضي قد وصف بكلامه آنذاك عن الكنز الحديقة الموجودة في بيته هو في بغداد.. وهكذا عاد في عجلة ووجد الكنز وعاش بقية حياته رجلاً غنياً وراضياً تحققَ حلمُه.

الموروث في الشعر

الـشـامـت

حسين الهلالي

شمتُ – شماتاً وشماتةً بفلان– فرح ببليته، فهو شامت ج– شمّات ، الشامت ج– شمات:فا (الشامتة جمع شوامت ، مؤنث الشامت)

يقال(بات بلية الشوامت)(أي بلية شديدة تشمت بها الشوامت) (وبات طوع الشوامت) أي كما احب من شمت به

والعرب تكره الشامت وتذمه ولها فيه كلام كثير في شعرها ونثرها الأدبي ومن شعرها كما

قال الشاعر النابغة الذبياني :–

فأرتاع من صوت الكلاب تبات له
طوع الشوامت من خوف صردِ

وقال ابن زيدون :–

لايهنيءُ الشامت المرتاح خاطره
اني معنىّ الأماني ضائع خطرِ

هل الرياح بنجم الأرض عاصفة
ام الكسوف لغير الشمس والقمرِ

ثم قال :– يرثي صديقه الوَزير القاضي ابي بكر بن ذكوان في قصيدة طويلة تعد من عيون الشعر ، منها هذان البيتان اللذان يدلان على الشماتة

اعززْ بأنْ ينعاك نعي شماتةٍ
للأولياء المعشرُ الأقبالُ

فجعت رحى الاسلام منك بقطبها
ليت الحسود فداك فهو نعالُ

أما شعراء الشعر الشعبي فركزوا عليه كثيرا واصبح الشامت عند المرأة العدو اللدود لها ، فهي تعده مع الواشي والنمام من اشد اعدائها وهي تحاربهم دائما في شعرها وفي حديثها مع النساء قالت احداهن :–

دارمي
اهوايه ازامط بيك اهواية كلش
لنك وي الشمات بيدك تفلش

وقالت أخرى

يلخذت روحي وياك رد روحي ليه
خوفي من النمام يشتمت بيه

وقالت ثالثة

اصفج الراح ابراح وتغنه بالراح
خاف من اكون آه شماتي ترتاح

وقالت رابعة

طكني الدهر وجعيت اتذر برداي
خوفي من الشمات تتحسس ابجاي
ولاتشكو الى الأعداء ضيما
فأن شماتت الأعداء داء

قال الشاعر عبد الأمير الفتلاوي ابوذية :– مولد من بيت القريض هذا

تلوم امتيمك بهواك لاسا ل
بعد منهو الينشف الدمع لاسا ل
لاتشجي العدوك ضيم لاسا ل
تره داء الشماته ومهضمية
وله موال
لي خلة لفكدهم حن الكلب وشلاي
والشامت لهجرهم لما سمع وشلاي
دمع البيابي صفه وتمت بهن وشلاي
معما وشيل ويروي اهل الملا لوطال
ريحان لزرع طريج لشملهم لوطال
يا شامتي بعدهن ريت العمر لاطال
راح المصكر وصجر عود انا وشلاي
عليهم آه شحن الكلب وشلاي
صفه دمعي وبكت بالعين وشلاي
اصجر عود يهل النظر وشلاي
ووالمصكر غده من بين اديه

وقال حسين الكربلائي :–

ليلو من البيابي مطر هل هل
يصاحب دوك شوف البدر هل هل
الشامت يوم ساك الضعن هل هل
فرح واللي يريده صاربيه

وقال حسين الهلالي :–

تكت ادماي ومسج وشل بيراح
زحفت اجهم ادور ذره بيراح
الشامت فوك راسي وكف بيراح
هز رمه بفرح وجهز عليه

وقال هاشم فليح:–

مثل حني فصيل النوك ماحن
الك يلخلفت بالكلب ماحن
ردت بجفاك حتفي ايحين ماحن
تركني الونسة الشمات بيه

من المحرر

الـمـذكـرة الـلـغـويـة!

باسم عبد الحميد حمودي

في عام ٢٠٠٢ ارسل السيد الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية في الجزائر رسالة عامة الى مجامع اللغة العربية كافة في الدول المنضوية تحت اطار الجامعة العربية مشفوعة برسالة تأييد وتأكيد واضحة من السيد الدكتور عمرو موسى الامين العام للجامعة يدعو فيها الدول الاعضاء الى تكثيف الجهود الوطنية من اجل انجاح فكرة رئيس المجمع الجزائري التي تتلخص بـ: قيام الجهات المعنية في كل دولة بانشاءلجان خاصة لدراسة التحولات الحاصلة في لغة الصحافة والادب واثبات الكلمات الجديدة والتعابير التي خرجت عن مدلولاتها الاولى الى مداليل جديدة (مثل كلمة علي بابا عندنا وعند الامريكان الذين اعطوها معنى جديدا ومثل مصطلحي : ألى ذلك – وفي سياق متصل – وامثالهما ، ومثل التغيير الحاصل على معاني كلمات كثيرة مثل كلمتي : السرد والسرديات وسواهما).

متابعة التغيرات الحاصلة على اللغة المحكية وتحليل التغيرات الحاصلة على المفردة العامية في الحقول والصناعات كافة.

متابعة اللغات الوطنية المحلية الشعبية (مثل لغة العمارة والموصل وتكريت وسامراءوالبصرةوالبوادي عندنا على سبيل المثال) دراسة لغة الطفل وتحولاتها دراسة اللغات الاخرى للاقوام الذين لهم لغاتهم القومية مثل الكورد والامازيغ والتركمان ووضع قواميس خاصة تعزز التلاحم الوطني.

وضع موسوعات خاصة بالتاريخ الشفاهية والاشخاص والعادات والتقاليد والبلدانيات

كل هذه المقترحات وصلت العراق عن طريق القنوات الرسمية وتألفت اللجنة من ممثلي وزارات التعليم العالي والثقافية والاعلام والمجمع العلمي العراقي وعقدت عدة اجتماعات لم تصل فيها الى حل متكامل لضعف التمويل!

منذ ايام قرأت ان سوريا قد بدأت بانتاج أول موسوعة في هذه الأطر.. وقل اعملوا.